ذكرى ميلاد

غابرييل غارثيا ماركيز المسار الطويل مع «المهنة الأجمل في العالم»

غابة اختفى فيها الصحافي

تستعيد هذه الزاوية شخصية ثقافية بمناسبة ذكرى ميلادها، في محاولة لإضاءة جوانب اخرى من شخصيّتها او من عوالمها الابداعية. يصادف اليوم ذكرى ميلاد الروائي الكولومبي (1927 - 2014) الذي اتت شهرته الادبية على حساب مسار طويل كرّس له حياته في الصحافة

شوقي بن حسن

في 1981، بدأ الباحث الفرنسي المتخصّص في تاريخ الأدب المكتوب بالإسبانية، جاك جلبير، في جمع «المنجز الصحافي» لـ غابرييل غارثيا ماركيز. كان ذلك قبل سنة من تتويج صاحب «خريف البطريق» بجائزة «نوبل للأدب» التي ستجعل منه أحد أشهر روائيي العالم، وربما أشهرهم على الإطلاق، ليبدأ الجميع في نسيان الوجه الصحافي لماركيز، ذلك الذي رافقه لعقود.

كان جلبير قد جمع كل المقالات التي نُشرت بين عامي 1948 و1966، وقد أتت في ثلاث مجلّدات ضخمة (قرابة 1600 صفحة مجتمعة). يرى الباحث الفرنسي أن هذه الفترة هي «زمن الصحافة» في مسيرة ماركيز، أو بتعبير أكثر دقة هي مرحلة كانت فيها الصحافة مجال الاهتمام والانهماك الأساسي لماركيز. كان يرى نفسه كصحافي يقدّم محاولات في الأدب.

في 1967، أصدر ماركيز «مئة عام من العزلة»، وكي يسلّم مخطوطها في الموعد المقرّر خاض عزلة استمرّت 18 شهراً، مكرّساً كل وقته للكتابة الإبداعية. يعتبر جلبير أن هذه العزلة هي لحظة القطيعة. يفعل ذلك من جعل من الكتابة الروائية هاجسه الأوّل، وبالتالي ستصبح الصحافة في الصف الثاني من الانشغالات، حتى لو كانت هي مصدر الرزق الأساسي.

قد يوافق رأي جلبير كثيرون وهو يحلّل أولويات ماركيز، لكن لم يوافقه كثيرون حين أراد إيقاف المشروع عند زمن ما قبل «مئة عام من العزلة». لعلّ الناشرين - ومجمل منظومة صناعة الكتاب - أوّل من تصدّى لهذا الطرح فبعد «نوبل»، أصبح أي شيء خرج أو يخرج من قلم ماركيز مثل منجم ذهب جرى اكتشافه في أرض أميركا اللاتينية.

تواصل جمع «المنجز الصحافي» لـ ماركيز حتى 1995. جرى استكمال المشروع من النقطة التي توقّف عندها جلبير، ومن ثمّ صار يتابع كل ما ينشره ماركيز في جرائد العالم، وقد زاد الطلب على آرائه في كل شؤون الحياة. كما ضمّت المجموعة كتاباته السِيَرية التي ظهرت في عمل مستقل لاحقاً بعنوان «عشتُ لأروي». الحصيلة: تسعة مجلّدات كبيرة!

ما لم نرَ هذه المدوّنة الضخمة في سلسلة كتب تملأ وحدها رفاً في مكتبة لن نعرف مكانة الصحافة في مشوار ماركيز، ستكون - مثلما ذهب جاك جلبير في بداية الثمانينيات - مجرّد مرحلة تمهيدية قبل المغامرة الأكبر؛ الدخول في غابة التخييل. على المستوى الكمّي، تظهر مدوّنة الصحافة أضخم من مدوّنة الأدب، وهذه الضخامة تشير إلى أن الكتابة الصحافية مشروع حياة. مع ماركيز، نفهم أنه ليس بالضرورة أن يكون للمرء مشروع حياة وحيد.

ما الذي جعل ماركيز يكتب كل ذلك «المنجز الصحافي»، وقد بات في غنى عنه بعد أن وضعته «ليس للكولونيل من يكاتبه» في موقع أمامي من مشهد الأدب اللاتيني-أميركي منذ 1961، ثم ضمنت له «مئة عام من العزلة» حيازة مكان مريح في «بانثيون» الأدب العالمي وهو في الأربعين من عمره؟

يبدو أن ماركيز قد فهم أن أدبه يتغذّى من الصحافة بما تتيحه من احتكاك يوميّ تفاصيل لن يراها العابرون. من الوجيه أن نشير إلى أن الكتابة الصحافية عند الروائي الكولومبي تحقّق فاعليتها بالتحرّك المتواصل ضمن طيف واسع من الأجناس الصحافية؛ من مقال الرأي إلى الريبورتاج، مروراً بالحوارات وعروض الكتب ومتابعة الحياة السياسية والثقافية. حتى صياغة أخبار من بضعة سطور كان تمريناً مسلّياً.

منذ أن دخلها صُدفةً عام 1948 - بعد تخليه عن دراسة القانون بسبب التقلبات السياسية في بلاده - لم يعد ماركيز يفكّر في الانفصال عن الصحافة، ولا حتى في أخذ مسافة ثابتة منها. لم يكن يريد أن يخسر ذلك التنشيط المتجدّد لخلايا دماغه، تلك الفسحة الدائمة من الاهتمامات والاشتباكات، وارتفاع منسوب الأدرينالين في الدم من حين إلى حين. أضافة الى ان جمع اعماله الصحافية الكاملة (الصورة: غلاف المجلّد الأوّل منها)، يشير الى ان تلك المدوّنة اضخم من مدوّنته الادبية، يمكن ان نقول بان الصحافة كانت الشبه بخيط غير مرئي يعبّر رواياته التي تميّزت بكونها لا تشابه، فقد وضع قواعد لعبة جديدة في كل عمل ادبي يقترحه. لعلّ سر هذه القدرة على التنويع يكمن في وفائه للصحافة التي لم يهجرها حتى بعد ان تسلّطت عليه اضواء النجومية الادبية.

خيط غير مرئي

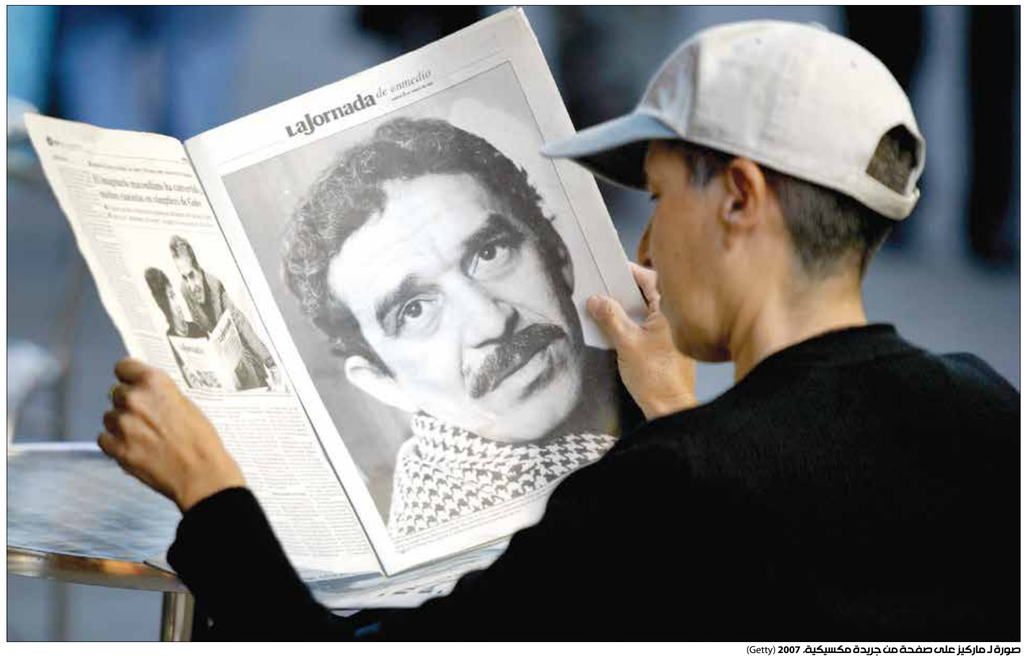

صورة لـ ماركيز على صفحة من جريدة مكسيكية، 2007 (Getty)

اخفى انتماءُ أدبه إلى الواقعية السحرية علاقته بالصحافة

فتح هامشاً من الحريات بالتحرّك بين التخييل والواقع

آخر. ما يُخفي حبل السرّة الذي لا ينقطع بين حقلَيْ الصحافة والأدب هو انتماء الأخير إلى «الواقعية السحرية». أية علاقة يمكن أن نربطها بين الصحافة بحرصها على ملامسة الواقع وبين عوالم تبدو مختلقة تماماً، باسماء شخصياتها وأماكنها وأحداثها. لم نر صحافياً واحداً في «ماكوندو»، وكيف لنا أن نراه وليس هناك واقع أصلاً؟ هل يمكن بذلك أن نجزم بأن «مئة عام من العزلة» - ونصوص مثلها اتخذت من ماكوندو إطاراً مكانياً تجري فيه أحداثها - في قطيعة تامة مع الصحافة. ربّما لم تحضر الصحافة، لكن ماركيز أحضر الكثير من شخصيته الصحافية. لكي نلمس ذلك، علينا أن نفارق الظاهر من العوالم العجائبية التي تقترحها رواياته.

الأثر الصحافي ثاوٍ في تربة التخييل. مثلاً، وراء الحكايات المتشعّبة في «مئة عام من العزلة» هناك بناء دقيق للخلفية التاريخية. شخصيات الكولونيل المتناثرة في كثير من أعماله لها مرجعيّتها الواقعية؛ الحرب الأهلية في كولومبيا. يمكن في أحيان كثيرة أن نتوقّف عن القراءة ونتتبّث من معلومات يذكرها ماركيز مثل تاريخ بناء سكك الحديد أو إحصائيات الضحايا فنجد أنها دقيقة، كأنه يتوجّه إلى قارئ الصحافة الذي يربطه به عقد معنوي بأن يكون أميناً للواقع.

أما الحضور الأطغى للصحافة في أدب ماركيز فكان في «حكاية غريق» (1970). حضور لن نتفطّن له من دون مقدّمة كتبها ماركيز وأكّد أن عمله هذا إنما هو «إعادة بناء صحافي» لحكاية بحّار نجا من الموت بأعجوبة. بالتالي ليس العمل رواية أصلاً؛ إنه حوار صحافي نُشر متسلسلاً عام 1955. رغم ذلك، فجميع عناصر الرواية حاضرة فيه. لقد كانت «حكاية غريق» في نقطة الوسط بالضبط بين الأدب والصحافة.

عنوَن ماركيز ذلك التقديم بـ«حكاية الحكاية»، وهنا يمكن أن نكتشف رؤيته للعلاقات التي يمكن أن تنشأ بين الأدب والصحافة. إذا كانت الصحافة هي الشاشة الكبرى التي يُفترض أن تظهر فيها الأعمال الأدبية كي تكون مرئية، فإن الأدب يمكن أن يلعب نفس الدور أحياناً. فمع التراكم الذي لا يتوقّف، يتردم كل شيء تحت طبقات من الأحداث الراهنة. يمكن للأدب هنا أن يلتقط ما هو جدير بالبقاء طافياً على سطح الذاكرة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إطلالة

صلات قديمة مع الغيب

آلهة الترجمة

لطالما اثار عبور المترجم من لغة إلى اخرى دهشة متلقّي عمله، الذين كانوا يعتقدون انّه يجيء بفعل خارق، من الثقافات القديمة إلى ايامنا

مزوار الإدريسي

شغلت الترجمةُ وقضاياها الفكرَ البشري منذ القديم، وارتبطتْ في بداياتها بعوالم الألوهة. فالمعلوم أنّ ظهورَها وتداوُلَها بين البشر اقترنَ بتدخّل إلهيّ حاسم، حَكم عليهم في إثره بالشّتات، فتقبلبتْ السنتُهم جرّاء ذلك، ومن ثَمّ كان السعي من قِبَلهم إلى استعادة وحْدة اللّسان الأولى، فكانت الترجمة الوسيلةَ المُثلى لبلوغها.

غير أن المفكّر الموسوعيّ جورج شتّاينر، في كتابه «بعد بابل»، يُفاجئ قارئه بتفسير مختلف للواقعة الأسطورية. لقد أقرّ التدخّل الإلهي، وأضاف أنّ إساءة الفهم طاولتْ أسطورة بابل. ففي نظره أنّ البلبلة اللغوية المجنونة وُجدت دوماً، وأنّ البشر، عند شروعهم في تشييد البرج الشهير، صادفوا السرّ العظيم: «لا يُنال الفهم الحقيقي إلّا في الصمت وحْده. فطفقوا يبنون من دون أن ينبسوا بكلمة: كان ذلك الحَجر على الرّب». فكأنّ الرّب ارتاب في أمرهم لصمتهم، أو كأنّه مهّد لشَقراط العبارة السائرة: «تكلّمْ حتّى أراك».

هكذا نرى بجلاء ارتباطَ الترجمة بالخالق الأوّل نفسه، ممّا سوّغ الانتقال إلى تقديس ممارسها لاحقاً. فمنذ القديم أيضاً، أشار العبورُ السريعُ للمترجم الفوريّ من لغةٍ إلى أخرى دهشةَ الحاضرين من تلقّي كلامه، الذين كانوا يستغربون ذلك الانتقال الفجائيّ للذّهن البشري من لغةٍ إلى أخرى، فيعتقدون أنّه يجيء بفعلٍ خارقٍ بسبب اتّصاله بالآلهة، ولم يتردّدوا في خلْع صفة القداسة عليه. ولا غرابة في هذا السلوك. فاليونانيّون اعتبروا هرْمَس إلهَ المترجمين، وَفْقَ ما أورد شَارْل لُوبْلان في كتابه «هرمس: نظرات فلسفية في الترجمة». وقد عزّف بماساته هوميروس في سردِ شنَقِ، لمّا حَكم الإلهُ زيُوس عليه بالنزول إلى الأرض والاتصال بالبشر، و«بالعمل وسيطاً بين الآلهة والناس، أي مترجماً»، جزاءً له على طمعه في «أكثر من حصّته [...]: حصّة الآخر».

ويُذكّرنا العمل، الذي أنبطَ بهوميروس، بالمهمّة التي أُسندتْ من قِبل الإله إلى النبي هارون، والتي أوردتها الكتب الدينية المقدّسة. لقد قام هارون بالترجمة عن أخيه الرسول موسى لإبلاغ خطاب الربّ إلى البشر، وضروريٌّ أن نستحضر هنا أنّ نوع الترجمة التي مارسها هارون كانت داخل اللغة نفسها، ليُبين عن موسى فنفْقه النّاس قوله.

ويؤكّد أندريه لefيفير وسوزان باسنيت، في كتابهما «بناء الثّقافات»، على الصّلة الوطيدة بين الآلهة والترجمة في ثقافة شعوب الشرق القديم. يتجلّى ذلك - في تقديرهما - في طبيعة الحضور المتميّز لنبوذا لديهم، عبر نصوصه المقدّسة، والذي وُصف بكونه «الحضور الأقصى» الذي «يختلف اختلافاً شاسعاً عن الإله المسيحي في هذا الصدد [...]، فلقد تعلّم مترجمو الكتب البوذية المقدّسة في وقت مبكّر أن يتعايشوا مع الواقع الذي يقول إن ترجماتهم من صُنع البشر، وإنّها لن تصل إلى الكمال بالضرورة».

والطريف أن يُستشفّ تدخّل الربّ في الترجمة، من وراء حجاب بالطبع، فيما اشتُهر بـ«الترجمة السبعينية»، التي عُهد بها إلى 72 خبراً يهودياً استقدمهم بطليموس الثاني (308 أو 309 - 246 ق.م)، لترجمة التوراة إلى اللغة الكُوْيْنِيّة، أي الإغريقية العامّيّة، وأسكنهم في غرف فرديّة دونما اتّصال في ما بينهم، لكنّهم خرجوا إلى الناس، بعد إنجازهم لمهمّتهم في المدّة المحدّدة، بنُسخ تتطابق حرفياً في ما بينها، أي بنُسخة واحدة، على الرغم من انفصالهم عن بعضهم، وهو فعلٌ خارق لا يُمكن أن يُتصوّر لولا الإرادة الإلهية.

ويتكرّر تدخّل الربّ في لحظة ترجمية تاريخية أخرى، تلك التي ساهم فيها، بحسب أندريه لefيفير وسوزان باسنيت، يوزيبيوس هيرونيموس (القديس جيروم)، الذي كان «يؤمن إيماناً راسخاً، مع أسلافه ومن ينتقصون من قدْره، بأنّ الكتب المقدّسة التي يُترجمونها كان موحى بها من الإله نفسه».

واللافت هو غياب أيّ طرح ضمن الثقافة العربية الإسلامية القديمة لموضوع الترجمة في علاقته بالألوهة. يتهيّأ إليّ أنّ الجاحظ كان حكيماً للغاية لمّا تحاشى الحديث عن ترجمة القرآن، واكتفى بموقفه الذاهب إلى استحالة ترجمة كُتُب الدين. بل إنّه كان في منتهى الذكاء لمّا الح إلى أنّه «لا بدّ للترجمان من أن يكون بيانُه في نفس الترجمة، في وزن علمه، في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللّغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواءً وغاية». إذ لا يخفى أنّها شرائطُ إنْ تتوافرْ في المترجم تَجعلْ منه إلهاً أو شريكاً للإله، وهذا ما أسقطه مؤلّف «البخلاء» بالعبقرية المعهودة فيه.

(أكاديمي ومترجم من المغرب)

اكتفى الجاحظ بموقفه باستحالة ترجمة كُتُب الدين

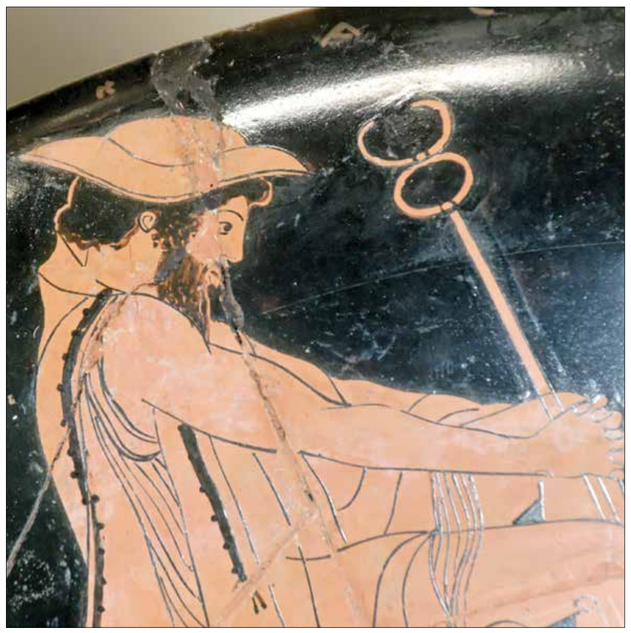

رسم لـ«هرمس» على إناء إغريقي

متابعة

آثار القصبة ما لم يتمّ ترميمه

تراث عالمي في مهبّ الريح

تُثير الأرقام المعلنة عن عدد المباني المهدّدة بالانهيار في حيّ القصبة تساؤلات عمّا حقّقته مشاريع الترميم الضخمة على مدار العقدَين الماضيَين

الجزائر ـ مليكة ياسين

لم يكُن الرقمُ الذي كشفت عنه، مؤخّراً، «الهيئة الوطنية للرقابة التقنية للبناء» والمتعلّق بعدد البنايات المهدّدة بالانهيار في حيّ القصبة العتيق بالجزائر العاصمة، مُفاجئاً، بالنظر إلى أنّ الوضع المتردّي لتلك البنايات ليس سرّاً، خصوصاً أنّ سقوط بعض منهما بات أمراً متكرّر الحدوث في السنوات الأخيرة، وكثيراً ما أدّى ذلك إلى سقوط قتلى من ساكنيها.

وعلى الرغم من ذلك، فإنّ الرقم الذي يُشير إلى تصنيف ما نسبته ثمانون بالمئة من المجال العمراني في الحيّ التاريخي ضمن «الخانة الحمراء»، التي تعني أنّ البنايات مهدّدةٌ بالانهيار في أية لحظة، يُثير تساؤلاتٍ عمّا حقّقته مشاريع ترميم الحيّ التي خُصّصت لها الدولة موازناتٍ ضخمة على مدار العقدَين الماضيَين. أمّا الإجابة فتكمن في الرقم نفسه.

أُجريت دراسات الخبرة التقنية خلال الفترة الممتدّة بين حزيران/ يونيو وأيلول/ سبتمبر من العام الماضي. وبحسب رئيس بلدية القصبة، عمر زتيلي، فإنّ ذلك أتى بعد تسجيل انهيارات وتصدّعات بشكلٍ يوميّ في بنايات الحيّ، خصوصاً خلال تهاطُل الأمطار، مشيراً في تصريحات صحافية إلى أنّ السلطات قامت بترحيل أكثر من عائلة من القصبة منذ سنة 2018.

ولفت المتحدّث إلى أنّ «المخطّط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ في القصبة» يمنع البلدية من التدخّل في عمليات ترميم البنايات، والتي هي معظمها أملاكٌ خاصّة بينما نسبةٌ قليلة منها هي أوقاف، مُشيراً إلى أنّ دور البلدية ينحصر في إعلام وزارة الثقافة بالانهيارات المسجّلة.

معظم بنايات حي القصبة التاريخي أملاكٌ خاصّة والبقية أوقاف

وتمنع القوانين الجزائرية ساكني البنايات المصنّفة ضمن التراث العالمي منذ عام 1992 من إجراء تعديلات عليها إلّا بترخيص مسبق، كما تنصّ على تكفّلهم بصيانتها بشكل دوري.

لكنّ زتيلي يقول إنّ أصحاب البنايات لا يلتزمون بذلك في الغالب، داعياً إلى إعادة النظر في القوانين المنظّمة لهذا القطاع، وأيضاً إلى استرجاع البيوتات القديمة من ملّاكها بهدف «إنقاذها من الضياع»، معتبراً أنّ حمايتها تتطلّب «قراراً سياسياً».

من جهة أخرى، كشف محافظ التراث الثقافي في «الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة»، بلال إبرمولي، أنّ هيئته شرعت في دراسة ملفات لإعادة تأهيل وترميم 32 معلماً تاريخياً إلى جانب بنايات قديمة أخرى؛ من بينها مسجد سيدي بن علي، ومسجد سيدي امحمد شريف، ومسجد سيدي عبد الله.

يُذكر أنه جرى اقتراح تصنيف قصبة الجزائر تراثاً وطنياً سنة 1973، وهو ما تحقّق عام 1991، قبل أن يجري تصنيفها ضمن قائمة «التراث الإنساني العالمي» من طرف اليونسكو سنة 1992.

وفي 2005، جرى استحداث وتحديد القطاع المحفوظ فيها، لتنطلق أشغال الترميم «الاستعجالية» عام 2008، وفي 2012 جرت المصادقة على «المخطّط الدائم لحفظ واستصلاح القطاع المحفوظ».

من حيّ القصبة

فعاليات

يعقد «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» اعمال موّتمر العلوم الاجتماعية والإنسانية في دورته الثامنة على مدى ثلاثة ايام ما بين 20 و22 آذار/ مارس الجاري. **الدولة العربية المعاصرة** هو محور هذه الدورة، ومن المحاور التي سيجري تناولها: الفكر العربي وإشكالية الدولة، وأطر شرعية الدولة عربيا.

ضمن الاحتفالات باليوم العالمي للمرأة، ينظّم «فضاء كارمن» في تونس العاصمة ندوة صباح اليوم تتحدّث فيها الباحثتان **نهى غرين** و**نائلة السليني** (الصورة)، والباحث **هاشمي الطاوي**، كما يتحدّث الفنان التشكيلي **علي الزنايدي** عن **المرأة التونسية كما يراها الفنانون التشكيليون**. وتقدّم العازفة الروسية المقيمة في تونس **زيتا فرشيشي** عرضاً موسيقياً على آلة البيانو.

تاريخ موجز للخزف: من الصين إلى اوروبا عنوان محاضرة ينظّمها متحف «دار إي ديستوار» (فرنسا) مساء اليوم تلقيها الباحثة **جولي روبين**، وتعود فيها إلى اهم المحطّات التي عرفها الخزف على مستوى تقنيات إنجازه وجمالياته، كما تقدّم قراءة في التُحف الأشهر التي باتت تعتبر اعمالاً فنية بحدّ ذاتها.

البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية في الوطن العربي: الرهانات والمعيقات عنوان موتمر يُعقد افتراضيا اليوم وغدا عبر «زوم». الموتمر من تنظيم «المركز الديمقراطي العربي» (برلين - المانيا)، و«جامعة فلسطين الاهلية» (بيت لحم - فلسطين)، و«جامعة محمد الخامس» (الرباط - المغرب).